أثر القصة النبوية في الإيمان بالقضاء والقدر

عاطف محمد فتحي حمزة مبارك (*)

الملخص:

تحدثتُ في هذا البحث عن أثر القصة النبوية في الإيمان بالقضاء والقدر وقسمتُ البحث إلى تمهيد، وأربعة مباحث تحدثتُ في التمهيد عن التعريف بمفردات البحث ثم تحدثتُ في المبحث الأول عن أثر القصة النبوية في الإيمان بعلم الله الأزلي، ثم تحدثتُ في المبحث الثاني عن أثر القصة النبوية في الإيمان بأن الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض، ثم تحدثت في المبحث الثالث عن أثر القصة النبوية في الإيمان بمشيئة الله ثم تحدثت في المبحث الرابع عن أثر القصة النبوية في الإيمان بأن الله خالق كل شيء ثم ختمت البحث بأهم النتائج، والتوصيات، والفهارس.

Summary

In this research, I spoke about the impact of the prophetic story on belief in destiny and destiny. I divided the research into an introduction and four sections. In the introduction, I spoke about introducing the research vocabulary. Then, in the first section, I spoke about the impact of the prophetic story on belief in God's eternal knowledge. Then, in the second section, I spoke about the impact of the prophetic story on belief that God wrote decrees, creations before the creation of the heavens and the earth. Then, in the third section, I spoke about the impact of the prophetic story on belief in God's will. Then, in the fourth section, I spoke about the impact of the prophetic story on belief that God is the Creator of everything, then I concluded the research with the most important results, recommendations, and indexes.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [أثر القصة النبوية في غرس العقيدة وتوظيفها في الخطاب الدعوي]، وتحت إشراف: أ.د. أحمد حسين محمد إبراهيم – عميد كلية الدعوة الإسلامية سابقًا- جامعة الأزهر بالقاهرة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمد الأولين والآخرين، حمدًا يليق بجنابه العظيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، نوره الأسبق، وصراطه المحقق، الذي أبرزه رحمة شاملة لوجوده، وأكرمه بشهوده، واصطفاه لنبوته ورسالته، وأرسله بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله.

وبعد

استطاعت القصة النبوية أن تغرس في قلوبنا عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ومما لا شك فيه أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن عظيم من أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها والتي جاء ذكرها في قصة نبوية عظيمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». قَالَ: مَا الإِسْلَامُ؟ قَالَ: " الإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ". قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ " ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «رُدُّوهُ» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»[1]

ولقد بينت القصة النبوية ضرورة الإيمان بعلم الله الأزلي، والإيمان بأن الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض، والإيمان بمشيئة الله، والإيمان بأن الله خالق كل شيء

" أثر القصة النبوية في الإيمان بالقضاء والقدر"

أولاً: أهمية الموضوع أسباب اختياره:

١ – بيان أثر القصة النبوية في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

٢ – القصة في السنة النبوية شغلت حيزاً كبيراً في الدعوة إلى العقيدة.

([1]) صحيح البخاري- ١٩/١ كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي رقم الحديث ٥٠

٣ – بيان أثر القصة النبوية في الإيمان بعلم الله الأزلي.

٤ – بيان أثر القصة النبوية في الإيمان بأن الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض.

٥ – بيان أثر القصة النبوية في الإيمان بمشيئة الله.

٦– بيان أثر القصة النبوية في بيان أن الله خالق كل شيء.

٧– الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: حدود الدراسة:

" أثر القصة النبوية في الإيمان بالقضاء والقدر"

ثالثاً: الدراسات السابقة للموضوع:

بالبحث والتحري في المكتبات المعتمدة، وعبر المواقع في شبكة المعلومات الدولية لم أقف على بحثٍ، أو دراسةٍ متخصصةٍ تناولت موضوع " أثر القصة النبوية في الإيمان بالقضاء والقدر" ولكن وجدت من الدراسات السابقة التي تحدثت عن القضاء والقدر مثل كتاب القضاء والقدر المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض / السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م والفرق بين دراستي وهذه الدراسة أنها اعتمدت على ما جاء في القرآن وفي السنة النبوية أما دراستي فتختص بما جاء في القصص النبوي في الإيمان بالقضاء والقدر الدراسة الثانية وعنوانها شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: – الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م وتعرض في دراسته في المسائل المتعلقة بالقضاء والقدر وأطال النفس في الاستشهاد بالكتاب والسنة وساق البراهين التي تؤكد على الإيمان بالقضاء والقدر أما بحثي هذا فيختص من ناحية أثر القصة النبوية في الإيمان بالقضاء والقدر والدراسة الثالثة وعنوانها منهج القرآن في القضاء والقدر المؤلف: محمود محمد غريب، من علماء الأزهر الشريف الناشر: دار القلم للتراث – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م" واقتصرت هذه الدراسة على ما قرره القرآن الكريم في الإيمان بالقضاء والقد رأما دراستي

فتختص بما جاء في القصص النبوي في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر

رابعاً: مشكلة البحث

تكمن مشكلة هذا البحث في البحث والتحري عن القصص النبوية الصحيحة التي كان لها أثر عظيم في الإيمان بالقضاء والقدر واستطاعت أن تغرس في نفوس المستمعين والقراء الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره .

خامساً: أسئلة البحث:

كيف أثرت القصة النبوية في الإيمان بالقضاء والقدر؟

ما هو أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المؤمن؟

كيف يتحققُ الإيمان بالقضاء والقدر؟

سادساً: خطة البحث

وتتكون من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس وهي كالتالي

المقدمة، وتشتمل على: أهمية الموضوع. أسباب اختيار الموضوع، حدود الدراسة، الدراسات السـابقة للموضوع، منهج الدراسة، ومشكلة البحث

والتمهيد يشتمل على الألفاظ والمفردات اللغوية التي هي محل البحث والدراسة.

والمباحث وهي كالتالي

المبحث الأول: أثر القصة النبوية في الإيمان بعلم الله الأزلي

المبحث الثاني: أثر القصة النبوية في الإيمان بأن الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض:

المبحث الثالث أثر القصة النبوية في الإيمان بمشيئة الله:

المبحث الرابع أثر القصة النبوية في الإيمان بأن الله خالق كل شيء:

والخاتمة، وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات، ثم زيل البحث بالمصادر والمراجع

التمهيد

- **تعريف الأثر لغةً واصطلاحاً:**

الأثر لغةً: "أَثَرَ الْهَمْزَةُ وَالثَّاءُ وَالرَّاءُ، لَهُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: تَقْدِيمُ الشَّيْءِ، وَذِكْرُ الشَّيْءِ، وَرَسْمُ الشَّيْءِ الْبَاقِي

وَالْأَثَرُ بَقِيَّةُ مَا يُرَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا لَا يُرَى بَعْدَ أَنْ تَبْقَى فِيهِ عَلَقَةٌ والْأَثَارُ الْأَثَرُ،

كَالْفَلَاحِ وَالْفَلَحِ، وَالسَّدَادِ وَالسَّدَدِ أَثَرُ السَّيْفِ ضَرْبَتُهُ. وَتَقُولُ: " مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا أَثَرُهُ " يَضْرِبُ لِلْمُجَرَّبِ الْمُخْتَبَرِ. وَالْأَثَرُ الِاسْتِقْفَاءُ وَالِاتِّبَاعُ"(١)

"أَثَرُ الشيء: حصول ما يدلّ على وجوده، يقال: أثر وأثّر والجمع: الآثار قال الله تعالى:{ ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا} [الحديد/ ٢٧] ، {وَآثاراً فِي الْأَرْضِ} [غافر/ ٢١] ، وقوله تعالى{ فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ} [الروم/ ٥٠] ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدّم: آثار، نحو قوله تعالى: {فَهُمْ عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ}[الصافات/ ٧٠] ، وقوله تعالى:{ هُمْ أُولاءِ عَلى أَثَرِي} [طه/ ٨٤](٢)

الأثر اصطلاحاً: "الأثر: بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء "(٣).

تعريف القصة لغةً واصطلاحاً

القصة لغةً: هي "والقصص مصدر قولك: قصصتُ الحديث أقصه قصاً وقصصاً وهو الكلام المتصل بعضه ببعض، والأصل فيه الإتباع وهو أن هذا المتكلم يتبع ما سبق قبله بالحديث والأخبار عنه للواقعة التي لها حديث وبناء قصة واقتصصتُ الأثر إذا تتبعته واقتصصتُ الحديث إذا رويته على ما علمته"(٤).

القصة اصطلاحاً: هي مَجْمُوعُ الْكَلَامِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى مَا يَهْدِي إِلَى الدِّينِ، وَيُرْشِدُ إِلَى الْحَقِّ وَيَأْمُرُ بِطَلَبِ النَّجَاةِ"(٥).

تعريف القصة النبوية " هي كل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق اسلوب قصصي سواء أكان متعلقاً بأخبار الماضي، أو حوادث المستقبل والغيب، أو بما مر به صلى الله عليه وسلم من تجارب ذاتية" (٦)

تعريف الإيمان لغةً "الإيمان ضدّ الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضدّه التكذيب، يقال: آمن به قوم وكذّب به قوم"(٧)

---

(١) مقاييس اللغة- ٥٣/١ /٥٤ باب أثر أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني(المتوفى:٣٩٥ ه) تحقيق عبد السلام محمد هارون الناشر- دار الفكر- ١٣٩٩ ١٩٧٩ م

(٢) المفردات في غريب القرآن- ٦٢/١ باب أثر

(٣) التعريفات- ٩/١

(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر- ٤٩١/٤٩٠/١

(٥) مفاتيح الغيب- ٨/ ٢٥٠

(٦) القصص في الحديث النبوي- ص ٣٣٣ محمد حسن الزير ١٩٨٥ م

(٧) لسان العرب ٢١/١٣

الإيمان اصطلاحاً: هو "التصديق بالله مع معرفته بالقلب"[١].
وقيل بأنه "قولٌ باللسان، واعتقاد بالقلب، وعملٌ بالجوارح"[٢]

تعريف القضاء والقدر والفرق بينهما:

معنى القضاء لغة:

هو بالمدّ، ويقصر، أصله: قَضَايٌ؛ لأنّه من قضيت، إلا أنّ الياء لَمّا جاءت بعد الألف همزت.

" القاف والضّاد والحرف المعتلّ أصل صحيح يدلُّ على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه"[٣].

ويطلق القضاء على معان عدّة منها: "الأمر، والأداء، والحكم، والفراغ، والإعلام، والموت"[٤]

معنى القدر لغة:

"مصدر قَدَرَ يَقدر قَدَراً "القاف والدّال والرّاء أصل صحيح يدلّ على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته"[٥]

ويطلق القدر على معان عدّة منها: الحكم، والقضاء، والتّضييق، والتّقدير"[٦].

الفرق بين القضاء والقدر:

لا فرق بينهما من جهة اللغة أما في الاصطلاح فالقضاء هو الأمر الكلي الاجمالي الذي في الأزل والقدر هو جزئيات ذلك الكلى وتفاصيل ذلك المجمل الواقعة في الانزال[٧]

وقد اختلف أهل العلم في لفظي القضاء والقدر هل هما بمعنى واحد أم معان متغايرة، واختلف القائلون بالتّغاير بينهما [٨].

---

(١) اللمع لأبي الحسن الأشعري ص ١٢٢
(٢) الشريعة للآجري ٢/ ٦١١
(٣) معجم مقاييس اللغة- (ص ٨٩٣).
(٤) تهذيب اللغة - (٣/ ٢٩٨٦)، الصحاح (٦/ ٢٤٦٣)، لسان العرب (١٥/ ١٨٦)، القاموس المحيط (ص ١٧٠٨).
(٥) معجم مقاييس اللغة- (ص ٨٧٦).
(٦) تهذيب اللغة- (٣/ ٢٨٩٦)، الصحاح (٢/ ٧٨٦)، لسان العرب (٥/ ٧٤)، القاموس المحيط المحيط (ص ٥٩١).
(٧) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري- ١١٩/١٩
(٨) الأربعين في أصول الدين للغزالي - (ص ٢٤)، المفردات، (ص ٤٢٢)، فتح الباري (١١/

المبحث الأول أثر القصة النبوية في الإيمان بعلم الله الأزلي:

من الإيمان بالقضاء والقدر أن يؤمن العبد بعلم الله تعالى الأزلي ومعناه " الْإِيمَانُ بِعِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ, فَعَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ, وَأَنَّهُ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَعَلِمَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ وَشَقَاوَتِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مَنْ أَهْلِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ عَلِمَ دِقَّ ذَلِكَ وَجَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ وَقَلِيلَهُ وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ وَسِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَمَبْدَأَهُ وَمُنْتَهَاهُ, كُلُّ ذَلِكَ بِعِلْمِهِ الَّذِي هُوَ صِفَتُهُ وَمُقْتَضَى اسْمِهِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ" (١)

ولو نظرنا في القصص النبوي لوجدناه أنه قد أثبت لنا وجوب الإيمان بعلم الله الأزلي وهذا من الإيمان بالقدر

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ قِيلَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» (٢)

" وَحَاصِلُ الْجَوَابِ أَنَّ كُلَّ مَنْ خُلِقَ لِشَيْءٍ يُسِّرَ لِعَمَلِهِ فَلَا مَشَقَّةَ مَعَ التَّيْسِيرِ وقيل أَرَادُوا أَنْ يَتَّخِذُوا مَا سَبَقَ حُجَّةً فِي تَرْكِ الْعَمَلِ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ هُنَا أَمْرَيْنِ لَا يُبْطِلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بَاطِنٌ وَهُوَ مَا اقْتَضَاهُ حُكْمُ الرُّبُوبِيَّةِ وَظَاهِرٌ وَهُوَ السِّمَةُ اللَّازِمَةُ بِحَقِّ الْعُبُودِيَّةِ وَهُوَ أَمَارَةٌ لِلْعَاقِبَةِ فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْعَمَلَ فِي الْعَاجِلِ يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي الْآجِلِ وَأَنَّ الظَّاهِرَ لَا يُتْرَكُ لِلْبَاطِنِ " (٣).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»(٤)

١٤٩، ٤٧٧)، عمدة القاري، (٢٣/ ١٤٥)، إرشاد الساري، (٩/ ٣٤٣)، الدين الخالص، (٣/ ١٥٤)، الدرر السنية، (١/ ٥١٢)،

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول- ٩٢٠/٣

(٢) صحيح مسلم ٢٠٤١/٤ كتاب القدر بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ رقم ٢٦٤٩

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري- ٥٢٢/١٣

(٤) صحيح مسلم ٢٠٥٠/٤ كتاب الْقدر بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ رقم ٣٦٦١

"وأما الغلام فطبع يوم طُبع كافرًا أي: خلق قلبه على صفة قلب الكافر من القسوّة، والجهل، ومحبّة الفساد، وضرر العباد، ولقوله: ولو أدرك لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا أي: لو بلغ. ولَمّا علم الله تعالى ذلك منه، أعلم الخضر بذلك، وأمره بقتله، فيكون قتله من باب دفع الضرر، كقتل الحيّات، والسِّباع العادية، لا من باب القتل المترتب على التكليف، وهذا لا إشكال على أصول أهل السُّنّة فيه، فإن الله تعالى الفعّالُ لما يريد، القادر على ما يشاء لا يتوجه عليه وجوبٌ، ولا حق، ولا يثبت عليه لوم ولا حكم، وأما على أصول أهل البدع القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين وما يتولّد على ذلك من الأصول الفاسدة من التجويز، والتعديل، والإيجاب على الله تعالى، فلا يلتفت إليها، ولا يُعرج عليها، لظهور فسادها، و(قوله: وكان أبواه قد عطفا عليه) أي: أحباه، وأقبلا عليه بشفقتهما، وحنوّهما، فخاف الخضر، لما أعلمه الله تعالى بمآل حاله" (١)

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله طُوبَى لِهَذَا، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ» (٢)

لعله – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع أو أنه – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة، وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب: فالأكثرون على أنهم في النار، وتوقفت طائفة، والثالث وهو الصحيح أنهم من أهل الجنة" (٣).

وبينت القصة النبوية أن علم الغيب المطلق لا يعلمه إلا الله عَنْ الرُّبَيّعُ بِنْتُ مُعَوّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ، جَاءَ النّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنّي، فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا، يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ، إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ: «دَعِي هَذِهِ،

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢١٢/٦

(٢) صحيح مسلم ٢٠٥٠/٤ كتاب القدر بَابُ مَعْنَى كُلّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ رقم ٢٦٦٢

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري- ٣٤٩/٩

وَقُولِي بِالّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ»[١]

عِلْمَ الْغَيْبِ هُوَ صفة تختَص باللّه تَعَالَى كَمَا قَالَ تَعَالَى قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض الْغَيْب الا الله (سورة النمل)٦٥ وَقَوْلُهُ لنَبيّهِ " قُلْ لَا أَمْلِكُ لنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كنت أعلم الْغَيْب لاستكثرت من الْخَيْر" (الأعراف ٨٨) وهناك أمور من الغيب لا يعلمها إلا الله كما أخبر في سورة لقمان {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) {لقمان} هَذِهِ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ الّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهَا، فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلّا بَعْدَ إِعْلَامِهِ تَعَالَى بِهَا؛ فَعِلْمُ وَقْتِ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، {لَا يُجَلِّيهَا لوَقْتِهَا إِلا هُوَ} [الْأَعْرَافِ: ١٨٧] ، وَكَذَلِكَ إِنْزَالُ الْغَيْثِ لَا يَعْلَمُهُ إِلّا اللّهُ، وَلَكِنْ إِذَا أَمَرَ بِهِ عَلِمَتْهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكّلُونَ بِذَلِكَ وَمَنْ شَاءَ اللّهُ مَنْ خَلْقِهِ. وَكَذَلِكَ لَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِمَّا يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَهُ اللّهُ تَعَالَى سِوَاهُ، وَلَكِنْ إِذَا أَمَرَ بِكَوْنِهِ ذِكْرًا أَوْ أُنْثَى، أَوْ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا عَلِمَ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكّلُونَ بِذَلِكَ، وَمَنْ شَاءَ اللّهُ مِنْ خَلْقِهِ. وَكَذَلِكَ لَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا فِي دُنْيَاهَا وَأُخْرَاهَا، {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} فِي بَلَدِهَا أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَيِّ بِلَادِ اللّهِ كَانَ، لَا عِلْمَ لِأَحَدٍ بِذَلِكَ وَقَدْ وَرَدَ فِي السُّنّةُ بِتَسْمِيَةِ هَذِهِ الْخَمْسِ: مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ [٢].

قال تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ} الْآيَةَ [الْأَنْعَامِ: ٥٩]

"أَيْ: يُحِيطُ عِلْمُهُ الْكَرِيمُ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، بَرِيها وَبَحْرِيّهَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ." [٣]

المبحث الثاني أثر القصة النبوية في الإيمان بأن الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض:

من الإيمان بالقضاء والقدر أن يؤمن العبد بأن الله كتب مقادير الخلائق "ويؤمن بأن الله عز وجل قد كتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة الصغير والكبير والحقير والجليل من أحوال بني آدم وأعمالهم، فكتبت طاعاتهم ومعاصيهم وكتب

(١) صحيح البخاري- ١٩/٧ كتاب النكاح رقم ٥١٤٧
(٢) تفسير القرآن العظيم- لابن كثير ٣٥٢/٦ بتصرف
(٣) تفسير القرآن العظيم- ٢٥٦/٣

أهل الجنة وأهل النار وهم لن يتعدوا ما كتب لهم وعليهم" [١].

فنجد قصة نبوية تخبرنا بذلك عن أبي حفصةَ، قال: قال عبادةُ بن الصّامت لابنه: يا بُنيِّ إنّك لن تَجدَ طعمَ حقيقةِ الإيمان حتّى تَعلمَ أن ما أصابَكَ لم يكُنْ ليُخْطئَكَ، وما أخطَاكَ لم يكُنْ ليُصيبَك، سمعتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم – يقول: "إن أوّلَ ما خلقَ الله القلمُ، فقال له: اكتُبْ، قال: ربِّ، وماذا أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كل شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ"، يا بني، إني سمعتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ ماتَ على غير هذا فليسَ منّي"[٢]

"فأفعال العباد كلها؛ حسنها وسيئها يجري القلم بها ويكتبها حقيقة، وثواب الطاعات

وعقاب السيئات يكتبه حقيقة، وقد خُلق لذلك، وأمر بكتبه وصار موضوعا على اللوح المحفوظ ليكتب ذلك فيه جاريا به إلى أن تقوم الساعة " [٣].

ونجد نص قصة نبوية أخرى تؤكد على أن الله كتب في الذكر كل شيء

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» فَنَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ، فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا" [٤]

"وعقلت ناقتي " أي ربطت ناقتي، ثم دخلت على النبي – صلى الله عليه وسلم – والواو مطلق الجمع، لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً " فأتاه ناس من بني تميم، فقال: اقبلوا البشري يا بني تميم " بما أتحدث به إليكم " قالوا: قد بشرتنا فأعطنا مرتين

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار- ٤٥/١ بتصرف

(٢) سنن أبي داود أبو داود- ٨٦/٧ كتاب أول كتاب السنة باب في القدر رقم ٤٧٠٠

(٣) إبراز الحكم من حديث رُفِعَ القَلم- ص٥٣ بتصرف

(٤) صحيح البخاري- ١٠٥/٤ كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧] رقم ٣١٩١

" أي فقال الأقرع بن حابس: قد بشرتنا أن تعطينا فأعطنا، قال ذلك مرتين، لأن جُلّ اهتمامهم كان بالدنيا، فلم يفهموا من البشرى إلّا العطاء المادي فقط، بينما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقصد بالبشرى أن يخبرهم عن وجود الله تعالى قبل كل موجود، وخلقه لكل موجود، وسماه بشرى لأنه يتعلق بتوحيد الله الذي هو أصل من أصول العقيدة الإسلامية التي يترتب عليها الفوز بالجنة والنجاة من النار. قال: "ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن" وهم الأشعريون " فقال: اقبلوا البشرى "، أي اقبلوا مني هذا الخبر " قالوا: قبلنا يا رسول الله " أي قبلنا منك ذلك، فهات ما عندك " فإنما جئناك نسألك عن هذا الأمر " فما هو هذا الأمر الذي سألوا عنه إما أن يكون الأمر المشار إليه هذا العالم، أو جنس المخلوقات، وسواء كان السؤال عن الأوّل أو الثاني، فإن الذي يظهر لنا من مجموع الروايات أن رسول الله قد أجابهم عن بدء الخليقة عامة فإن كانوا قد سألوا عن بدء هذا العالم، فيكون النبي صلى الله عليه وسلم إنما أجابهم عنه ببدء الخليقة، لأنه أعم وأشمل، وهو متضمن لجواب سؤالهم وزيادة، وإن كانوا قد سألوا عن بدء الخليقة فالجواب والسؤال متطابقان. " قال: كان الله، ولم يكن شيء عيره " وفيها دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، لأن كل ذلك غير الله تعالى، وكلمة " كان " في قوله صلى الله عليه وسلم " كان الله " إلخ أزلية، ومعناها أن الله تفرد بالوجود الأزلي دون غيره، فهو الأوّل بلا ابتداء، المنفرد بالأوليّة، وكل ما سواه حادث مخلوق له، بما في ذلك العرش قال صلى الله عليه وسلم "وكان عرشه على الماء " والمراد بكان هنا الحدوث بعد العدم، ومعناه، أنه خلق الماء سابقاً، ثم خلق العرش على الماء الحديث: أن الله كان قبل كل شيء ولم يكن أي شيء غيره موجوداً، ثم خلق الماء أولاً والعرش ثانياً، أو خلق العرش في الجهة العليا والماء في السفلى، ثم خلق القلم واللوح المحفوظ، ثم خلق السموات والأرض، هذا هو الترتيب الزمني لخلق هذه الكائنات العلوية والسفلية. " فنادى منادٍ ذهبت ناقتك " أي هربت " فانطلقت " أي فذهبت خلفها " فإذا هي يقطع دونها السراب " أي فإذا هي قد ابتعدت كثيراً حتى حال دونها السراب " فو الله لوددت أني تركتها " أي تمنيت

أني تركتها تذهب وبقيت في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم "[1]

وأيضاً عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ "[2]

وهذا حد للكتاب لا للمقادير؛ لأن علم الله تعالى وما قدره على عباده وأراده من خليقته أزلي لا أول له، وقد يكون ذكر الخمسين ألفاً حقيقة على ظاهره، وقد يكون تمثيلاً للتكثير كما قال فى قوله: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} (سورة الصافات: ١٤٧) وقوله: " وكان عرشه على الماء ": يعنى قبل خلق السماوات والأرض [3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ، وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي العَنَتَ، وَلَا أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ القَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ»[4]

قَوْلُهُ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ أَيْ نَفَذَ الْمَقْدُورُ بِمَا كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَبَقِيَ الْقَلَمُ الَّذِي كتب بِهِ جافا لا مداد فِيهِ لفَرَاغِ مَا كُتِبَ بِهِ فكِتَابَةُ اللَّهِ وَلَوْحُهُ وَقَلَمُهُ مِنْ غَيْبِ عِلْمِهِ الَّذِي نُؤْمِنُ بِهِ وَنَكِلُ عِلْمَهُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ فِي رِوَايَةِ الطَّبَرِيِّ وَحَكَاهَا الْحُمَيْدِيُّ فِي الْجَمْعِ وَوَقَعَتْ فِي الْمَصَابِيحِ "فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ" مَعْنَاهُ اقْتَصِرْ عَلَى الَّذِي أَمَرْتُكَ بِهِ أَوِ اتْرُكْهُ وَافْعَلْ مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْخِصَاءِ اه وَأَمَّا اللَّفْظُ الَّذِي وَقَعَ فِي الْأَصْلِ فَمَعْنَاهُ فَافْعَلْ مَا ذَكَرْتُ أَوِ اتْرُكْهُ وَاتَّبِعْ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ وَعَلَى الرِّوَايَتَيْنِ فَلَيْسَ الْأَمْرُ فِيهِ لِطَلَبِ الْفِعْلِ بَلْ هُوَ لِلتَّهْدِيدِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فليؤمن وَمن شَاءَ فليكفر" وَالْمَعْنَى إِنْ فَعَلْتَ أَوْ لَمْ تَفْعَلْ فَلَا بُدَّ مِنْ نُفُوذِ الْقَدَرِ وَلَيْسَ فِيهِ تَعَرُّضٌ لِحُكْمِ الْخِصَاءِ وَمُحَصِّلُ الْجَوَابِ أَنَّ جَمِيعَ الْأُمُورِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ فِي الْأَزَلِ فَالْخِصَاءُ وَتَرْكُهُ سَوَاءٌ فَإِن الَّذِي

([1]) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري- ١٤٤/٤ – ١٤٧ بتصرف

([2]) صحيح مسلم- ٢٠٤٤/٤ كتاب الْقَدَرِ بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ رقم ٢٦٥٣

([3]) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم- ١٤١/١٨

([4]) صحيح البخاري- ٤/٧ كتاب النكاح باب ما يكره من التبتل والخصاء رقم ٥٠٧٦

قُدِّرَ لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ وَقَولُهُ عَلَى ذَلِكَ هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمُقَدَّرٍ أَيِ اخْتُصَّ حَالُ اسْتِعْلَائِكَ عَلَى الْعِلْمِ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَلَيْسَ إِذْنًا فِي الْخِصَاءِ بَلْ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ كَأَنَّهُ قَالَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ فَلَا فَائِدَةَ فِي الِاخْتِصَاءِ ولقد نهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ لَمَّا اسْتَأْذَنَهُ فِي ذَلِكَ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ قَبْلَ هِجْرَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِمُدَّةٍ وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ من حَدِيث بن عَبَّاسٍ قَالَ شَكَا رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُزُوبَةَ فَقَالَ أَلَا أَخْتَصِي قَالَ لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَصَى أَوِ اخْتَصَى وَفِي الْحَدِيثِ ذَمُّ الِاخْتِصَاءِ وَ فِيهِ أَنَّ الْقَدَرَ إِذَا نَفَذَ لَا تَنْفَعُ الْحِيَلُ وَفِيهِ مَشْرُوعِيَّةُ شَكْوَى الشَّخْصِ مَا يَقَعُ لَهُ لِلْكَبِيرِ وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَهْجَنُ وَيُسْتَقْبَحُ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَجِدِ الصَّدَاقَ لَا يَتَعَرَّضُ لِلتَّزْوِيجِ وَفِيهِ جَوَازُ تَكْرَارِ الشَّكْوَى إِلَى ثَلَاثٍ وَالْجَوَابُ لِمَنْ لَا يَقْنَعُ بِالسُّكُوتِ وَجَوَازُ السُّكُوتِ عَنِ الْجَوَابِ لِمَنْ يَظُنُّ بِهِ أَنَّهُ يَفْهَمُ الْمُرَادَ مِنْ مُجَرَّدِ السُّكُوتِ وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ أَنْ يُقَدِّمَ طَالِبُ الْحَاجَةِ بَيْنَ يَدَيْ حَاجَتِهِ عُذْرَهُ فِي السُّؤَالِ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مَهْمَا أَمْكَنَ الْمُكَلَّفَ فِعْلُ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَشْرُوعَةِ لَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا بَعْدَ عَمَلِهَا لِئَلَّا يُخَالِفَ الْحِكْمَةَ فَإِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الرِّضَا بِمَا قَدَّرَهُ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ وَلَا يَتَكَلَّفُ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا لَا طَاقَةَ بِهِ لَهُ وَفِيهِ أَنَّ الْأَسْبَابَ إِذَا لَمْ تُصَادِفِ الْقَدَرَ لَا تُجْدِي" (١)

والأدلة من القرآن الكريم على ذلك كثيرة جداً فمنها على سبيل المثال قوله عز وجل{ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (يس:١٢)

"إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى أي للبعث وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا أي نحفظ عليهم ما أسلفوا من الخير والشر وَآثَارَهُمْ أي ما تركوه من سنة صالحة، فعمل بها بعد موتهم. أو سنة سيئة فعمل بها بعدهم وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ أي في اللوح المحفوظ، أو العلم الأزلي" (٢).

قال تعالى:{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} (الأنبياء:١٠٥)

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر– ١٢٠ بتصرف

(٢) محاسن التأويل- ١٧٦/٨

"والمراد بالزبور: الكتاب المزبور أى: المكتوب، مأخوذ من قولهم: زبرت الكتاب إذا كتبته.

ويشمل هنا جميع الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والزبور والمراد بالذكر: اللوح المحفوظ الذي هو أم الكتاب.

والمقصود بالأرض هنا: أرض الجنة فيكون المعنى: ولقد كتبنا في الكتب السماوية، من بعد كتابتنا في اللوح المحفوظ: أن أرض الجنة نورثها يوم القيامة لعبادنا الصالحين" [١].

المبحث الثالث أثر القصة النبوية في الإيمان بمشيئة الله:

من الإيمان بالقضاء والقدر الإيمان بمشيئته سبحانه وتعالى "والإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله وإرادته، فكل شيء واقع بمشيئة الله، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن سواء كان مما يتعلق بفعل الله كالخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، أو مما يتعلق بفعل المخلوق كالأقوال والأفعال" [٢] .

فنجد قصة نبوية تخبرنا بمشيئته تعالى

عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ: حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ " [٣]

([١]) التفسير الوسيط للقرآن الكريم - طنطاوي ٢٥٧/٩ بتصرف

([٢]) موسوعة الفقه الإسلامي- المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري الناشر: بيت الأفكار الدولية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ٤٠٣/١

([٣]) صحيح مسلم- ٢٠٣٧/٤ كتاب القدر بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ رقم ٣٦٤٥

"فيقضي ربك ما شاء، أي: يظهر من قضائه وحكمه للملائكة ما سبق به علمه، وتعلقت به إرادته.

و(قوله: ويكتب الملك) يعني من اللوح المحفوظ، ولذلك عطف هذه الجملة على ما تقدم بالواو، لأنّها لا تقتضي رتبة، ثم يخرج الملك بالصحيفة، أي: يخرج من حال الغيبة عن هذا العالم إلى حال مشاهدته، فيطلع الله تعالى بسبب تلك الصحيفة من شاء من الملائكة الموكلين بأحواله على ذلك ليقوم كل بما عليه من وظيفته حسب ما سطر في صحيفته" (١).

وفي قصة الحديبية تبين لنا مشيئة الله في الخلق وقبضه للأرواح حين يشاء

عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، حِينَ نَامُوا عَنِ الصّلَاةِ، قَالَ النّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

«إِنّ اللّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدّهَا حِينَ شَاءَ»، فَقَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَتَوَضّئُوا إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشّمْسُ وَابْيَضّتْ، فَقَامَ فَصَلّى" (٢)

قَوْله: إِن الله قبض أرواحكم إِنّمَا قَالَ النّبِي هَذَا فِي سفرة من الْأَسْفَار، وَاخْتلفُوا فِي هَذِه السفرة، فَفِي مُسلم فِي حَدِيث أبي هُرَيْرَة: عِنْد رجوعهم من خَيْبَر، وَفِي حَدِيث ابْن مَسْعُود عِنْد أبي دَاوُد: فِي سفرة الْحُدَيْبِيَة "إِن الله قبض أرواحكم دَلِيل على أَن الرّوح هُوَ النّفس، وَهُوَ قَول أَكثر الْأَئِمَّة. وَقَالَ ابْن حبيب وَغَيره: الرّوح بِخِلَافِهَا فالروح هُوَ النّفس المتردد الّذِي لَا يبْقى بعده حَيَاة، وَالنّفس هِيَ الّتِي تلذ وتتألم وَهِي الّتِي تتوفى عِنْد النّوم، فَسمى النّبِي مَا يقبضهُ فِي النّوم روحاً وَسَمَاهُ الله فِي كِتَابه نفسا قَوْله: عَن الصّلَاة أَي: صَلَاة الصُّبْح. قَوْله: وتوضأوا بِلَفْظ الْمَاضِي قَوْله: وابيضت أَي: ارْتَفَعت قَوْله: فصلى أَي: الصّلَاة الْفَائِتَة قَضَاء قيل: كَذَا قَالَ هُنَا، وَقَالَ فِي خبر بِلَال حِين كلأهم: لم يوقظهم إِلّا الشَّمْس، وَإِمَّا أَن يكون هَذَا يَوْمًا آخر" (٣).

بل بينت القصة النبوية أنه لا يجوز الجمع بين مشيئة الله وبين مشيئة رسوله:

عَنْ طُفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ، أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا، أَنّهُ رَأَى فِيمَا يَرَى النّائِمُ، كَأَنّهُ مَرّ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦- /٦٥٥

(٢) صحيح البخاري- ١٣٩/٩ كِتَابُ التَّوْحِيدِ بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} رقم ٧٤٧١

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري- ١٤٨/٣٥ بتصرف

بِرَهْطٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْيَهُودُ، قَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللهِ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: وَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ النَّصَارَى، فَقَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمُ الْقَوْمُ ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: " هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟ " قَالَ عَفَّانُ: قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا صَلَّوْا، خَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ، أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا "، قَالَ: " لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ "[1]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: " أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ "[2]

لذلك "لا يجوز الجمع بينهما بين مشيئة الله وبين مشيئة رسوله بل يجوز أن يقول كلًا منهما منفرداً "[3].

وفي معنى هذا الشرك المنهي عنه قول من لا يتوقى الشرك أنا بالله وبك وأنا في حسب الله وحسبك وأنا متوكل على الله وعليك وهذا من الله ومنك والله لي في السماء وأنت لي في الأرض وأمثال هذه الألفاظ التي لا تجوز ويجعل فيها قائلها المخلوق نداً للخالق وهي أشد منعاً وقبحاً من قوله ما شاء الله وشئت فعلى المسلمِ أن يحذر ذلك جيداً وأن لا يجعل في أقواله وأفعاله نداً لله [4].

هذا وإن أعظم الذنب كما جاء في الحديث ووضحه النبي ﷺ .

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: " أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» [5].

([1]) مسند أحمد- ٢٩٦/٣٤ – ٢٩٧ رواه أحمد في مسنده- باب حَدِيثُ طُفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ رقم ٢٠٦٩٤ حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح

([2]) مسند أحمد- ٣٣٩/٣ رواه أحمد في مسنده- باب مسند عبدالله بن عباس- برقم ١٨٣٩ وهو حديثٌ صحيح

([3]) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح - ١٥٣/١٦ باب لا يقول ما شاء الله وشئت

([4]) زاد المعاد في هدي خير العباد- ٢ /٢٢٢ بتصرف

([5]) صحيح البخاري- ٩/ ١٥٢ رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد- باب فلا تجعلوا لله أندادا- رقم٧٥٢٠

هكذا كان النبي ﷺ يصحح ويوجه أصحابه لما يصدر منهم من خطأ فكان النبي حريصاً على تربية وتصحيح مفاهيم العقيدة وترسيخها في قلوب وعقول الصحابة ومن ثم في الأمة جمعاء والباب في ذلك والأمثلة كثيرة ولكن نكتفي بهذا.

التحذير من نسيان المشيئة لقد حذرت القصة النبوية من أن ينسى الإنسان تقديم المشيئة لله عز وجل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ "لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللهُ فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ"([1])

"ما من شيء يقع في الكون إلا بإذنه، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد والإنسان مهما بلغت قوته وسلطته هو وعمله في قبضة القاهر فوق عباده، فلا يظنن أنه يفعل الشيء بحوله وقوته، دون مشيئة ربه، وإرادته وقوته، ولا يظن أنه سيفعل غدًا كذا وكذا، فيعد، ويجزم، ويحلف، دون أن يفوض لله الأمر، فقد لا يأتي عليه الغد هو نفسه، وقد يجيء عليه الغد وهو عاجز عن الفعل، وقد ينسى ما وعد به، وقد يكون ما تمناه في غده ورجاه، وظن أنه ميسور، قد لا يكون في دائرة مقدوره ومشيئته أصلاً بل هو في محض مشيئة الله وإرادته، كالحمل والولد والحياة.

وهكذا يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بهذه الحقيقة بين الحين والحين، ويقص عليهم في هذا الحديث ما قصه الله عليه في وحيه، عن أخيه سليمان بن داود عليهما السلام، مما يؤكد هذه الحقيقة، فيقول: لقد كان لسليمان عليه السلام ملكًا ليس لأحد من بعده، وكان تحته من النساء ستون أو سبعون أو تسعون امرأة، وكانت جنوده لا قبل لمن حوله من الملوك بها، وكان يطمع في زيادة هذه القوة بفرسان من صلبه، فتمنى على الله أن يعينه على أن يطوف على نسائه جميعهن في ليلة واحدة، فتحمل كل واحدة ذكرًا، فيصير رجلاً فارسًا، ولو

([1]) صحيح البخاري - ٢٢/٤ كتاب الجهاد والسير– باب – طلب الولد للجهاد رقم – ٢٨١٩

أنه أجيب لذلك ربما قدر له مائة رجل في كل عام، لكنه نسي أن يقول: إن شاء الله، بلسانه، وهي دائمًا في عقيدته، وخاطره، لكنه لم ينطق بها لسانه فعاقبه ربه، طاف على نسائه كلهن – ربما مرات – فلم تحمل واحدة منهن، غير امرأة واحدة، حملت وبعد تسعة أشهر ولدت نصف طفل، وألقته القابلة على كرسيه متعجبة، فتذكر سليمان خطأه، واستغفر ربه، ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه وتعالى

{ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ثم أناب * قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب} [ص: ٣٤، ٣٥]"[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (سورة الكهف)

"عَاتَبَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَوْلِهِ لِلْكُفَّارِ حِينَ سَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ وَالْفِتْيَةِ وَذِي الْقَرْنَيْنِ: غَدًا أُخْبِرُكُمْ بِجَوَابِ أَسْئِلَتِكُمْ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ فِي ذَلِكَ. فَاحْتَبَسَ الْوَحْيُ عَنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَرْجَفَ الْكُفَّارُ بِهِ، فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ السُّورَةُ مُفَرِّجَةً. وَأُمِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَلَّا يَقُولَ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِنِّي أَفْعَلُ غَدًا كَذَا وَكَذَا، إِلَّا أَنْ يُعَلِّقَ ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"(٢)

المبحث الرابع أثر القصة النبوية في الإيمان بأن الله خالق كل شيء:

من الإيمان بالقضاء والقدر أن يؤمن العبد بأن الله خالق كل شيء " ومن ذلك العباد وأفعالهم فلا يخرج شيء في هذا الوجود عن ملكه وخلقه فهو خالق كل عامل وعمله وكل صانع وصنعته، وما من حركة ولا سكون في هذا الكون إلا وهو خالقه وربه لا يشركه في ذلك أحد بل هو المتفرد سبحانه بالخلق وحده." [٣]

فنجد نص قصة نبوية تطالعنا وتخبرنا بذلك

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:" لَمّا خَلَقَ اللّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِيّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمّ عَرَضَهُمْ عَلَى

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم - ٤٧٣/٦
(٢) الجامع لأحكام القرآن - ١٠ /٣٨٥
(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار- ٥٢/١

آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلاً مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ. "[١]

قوله: (نسمة) النسمة كل ذي روح، وقيل: كل ذي نفس، مأخوذة من النسيم، و(هو خالقها) صفة لـــ (نسمة) ذكرها ليتعلق به إلى يوم القيامة (الوبيص) البريق واللمعان وفي هذا دليل على أن إخراج الذرية كان حقيقياً، وقوله: (وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً) إيذان بأن الذرية كانت في صورة الإنسان على مقدار الذرة، وفي ذكر(الوبيص) تنبيه على الفطرة السليمة الأصلية كما مر، وفي تخصيص التعجب من وبيص داود عليه السلام إظهار لكرامة من كراماته، ومدح له، فلا يدل على تفضيله على الغير؛ فإن في الأنبياء من هو أفضل منه، وأكثر كرامة و(نسى آدم) وارد على سبيل الاستطراد، وابن آدم مجبول من أصل خلقته على الجحد، والنسيان، والخطأ، إلا من عصمه الله بتوفيقه" [٢]

وعن عبد الله ابن مسعود حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ – أَوْ: الرَّجُلَ – يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا "[٣]

في هذا الحديث رد لقول القدرية واعتقادهم أن العبد يخلق أفعاله كلها من الطاعات والمعاصي، وقالوا: إن الله منزه عَنْ أن يخلق المعاصي والزنا والكفر

---

(١) سنن الترمذي- ١١٧/٥ باب ومن سورة الأعراف رقم ٣٠٧٦ حديث حسن صحيح

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) - ٥٨٠/٢ بتصرف

(٣) صحيح البخاري- ١٢٢/٨ كتاب القدر باب في القدر رقم ٦٥٩٤

فبان في هذا الحديث تكذيب قولهم، بما أخبر (صلى الله عليه وسلم) أنه يكتب في بطن أمه شقى أو سعيد ا" [١].

وأكد القرآن الكريم على الإيمان بأن الله هو الخالق فقال تعالى: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (الزمر:٦٢) "اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ من خير وشر وإيمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة المتصف بهما لأسبابهما فالآية رادة على المعتزلة ردا ظاهر وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ يتولى التصرف فيه كيفما يشاء حسبما تقتضيه الحكمة، وكأن ذكر ذلك للدلالة على أنه سبحانه الغني المطلق وأن المنافع والمضار راجعة إلى العباد، ولك أن تقول: المعنى أنه تعالى حفيظ على كل شيء وحاصله أنه تعالى يتولى حفظ كل شيء بعد خلقه فيكون إشارة إلى احتياج الأشياء إليه تعالى في بقائها كما أنها محتاجة إليه عزّ وجلّ في وجودها"[٢].

وقال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (الصافات:٩٦)

"وفي هذه الآية دليل على أنّ أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى حيث قال: وَما تَعْمَلُونَ على [أنها] مكتسبة للعباد حيث أثبت لهم عملا، فأبطل مذهب القدرية والجبرية بهذه الآية" [٣]

وقال تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (غافر:٦٢)

" أَيِ: الّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هُوَ اللّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، خَالِقُ الْأَشْيَاءِ، الّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، {فَأَنّى تُؤْفَكُونَ} أَيْ: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ، الّتِي لَا تَخْلُقُ شَيْئًا، بَلْ هِيَ مخلوقة منحوتة" [٤].

([١]) شرح صحيح البخاري لابن بطال- ٢٩٦/١٠ -٢٩٨

([٢]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- ٢٧٦/١٢ بتصرف

([٣]) الكشف والبيان عن تفسير القرآن- ١٤٩/٨

([٤]) تفسير القرآن العظيم- ١٥٥/٧ ١٩٩٩ م

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

١ – القصة النبوية لها عظيم الأثر في الإيمان بالقضاء والقدر.
٢ – الإيمان بالقضاء والقدر يحقق السعادة للمؤمن في الدنيا والآخرة .

٣ – القصة النبوية أبرزت أن من الإيمان بالقضاء والقدر الإيمان بمشيئة الله.
٤ – القصة النبوية أبرزت أن من الإيمان بالقضاء والقدر الإيمان بأن الله هو الخالق.
٥ – القصة النبوية أبرزت أن من الإيمان بالقضاء والقدر الإيمان بعلم الله الأزلي.
٦ – القصة النبوية أبرزت أن من الإيمان بالقضاء والقدر الإيمان بأن الله كتب مقادير الخلائق.

ثانياً: التوصيات

١ – أوصي الدعاة بضرورة بيان دور القصة النبوية في الإيمان بالقضاء والقدر.
٢ – أوصي القراء بالإقبال على القصص النبوي لأن فيه الخير، والفلاح.
٣– أوصي الباحثين بالاهتمام بالقصة النبوية في مجال البحث العلمي فمما لا شك فيه أن المكتبة الإسلامية فقيرة جداً في مجال القصة النبوية.

فهرس المصادر والمراجع

١– إبراز الحكم من حديث رُفِعَ القَلم المؤلف: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ) حققه وخرج أحاديثه: كيلاني محمد خليفة الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م
٢– الأربعين في أصول الدين – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى ٥٠٥هـ) الناشر دار المنهاج ٢٠٠٩م
٣– إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب

الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

٤- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ) المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

٥- التعريفات- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(المتوفى:٨١٦ ه) تحقيق جماعة من العلماء الناشر- دار الكتب العلمية- بيروت- لبان- ط الأولى ١٤٠٣ ه١٩٨٣ م

٦- تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى ١٩٩٨ م

٨- تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

٩- الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى: (٦٧١ ه) تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة- الثانية ١٣٨٤ ه - ١٩٦٤ م

١٠- الدرر السنية في الأجوبة النجدية المؤلف: علماء نجد الأعلام المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

١١- الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق المؤلف: محمود محمد خطاب السّبكي المحقق: أمين محمود خطاب الناشر: المكتبة المحمودية السبكية الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب

الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)
المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٣- زاد المعاد في هدي خير العباد المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

١٤- سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ) شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي دار الرسالة العالمية الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

١٥- سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م

١٦- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) المحقق عبد الحميد هنداوي الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧

١٧- شرح صحيح البخاري لابن بطال المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

١٨- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

١٩- الشريعة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن

سليمان الدميجي الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٢٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٢١- صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٢٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي

٢٤- فتح المنعم شرح صحيح مسلم المؤلف: الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين الناشر: دار الشروق الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٢٥- القاموس المحيط - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان

٢٦- القصص في الحديث النبوي- محمد حسن الزير ١٩٨٥ م رسالة ماجستير

٢٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢م

٢٨- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري- محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان :ط الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م
٢٩- اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح المؤلف: شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: ٨٣١ هـ) تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
٣٠- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ
٣١- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع - أبو الحسن الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) تقديم شيخ الأزهر أحمد الطيب الطبعة الأولى لدار الحكماء للنشر ١٤٤٢ ه ٢٠٢١ م
٣٢- محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
٣٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٣٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
٣٥- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول- حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : ١٣٧٧هـ) المحقق : عمر بن محمود أبو عمر

الناشر: دار ابن القيم الدمام الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
٣٦- المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
٣٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
٣٨- مقاييس اللغة-أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني(المتوفى:٣٩٥ ه) تحقيق عبد السلام محمد هارون الناشر- دار الفكر- ١٣٩٩ ه١٩٧٩ م
٣٩- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري المؤلف: حمزة محمد قاسم راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
٤٠- موسوعة الفقه الإسلامي- المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري الناشر: بيت الأفكار الدولية
٤١- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر-جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق محمد عبدالكريم كاظم الناشر: مؤسسة الرسالة- لبنان- بيروت- الطبعة الأولى١٤٠٤ه-١٩٨٤ م